

الخصائص الحسينية -1-

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أعداء الدين.

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ~ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ~ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ~ يَفْقَهُوا قَوْلِي().

عن محمد بن مسلم، عن الباقر والصادق (عليهما السلام) قال: سمعتهما يقولان: «إنَّ الله تعالى عوَّضَ الحسين (ع) من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشَّفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تُعدُّ أيامَ زائريه جائياً وراجعاً من عمره»().

سنتحدث في هذه الجمعة حول الرواية السابقة الصحيحة التي رواها محمد بن مسلم عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام).

فلا شك ولا ريب أن أئمة الهدى ومصابيح الدجى (ع) قد خصهم الباري عز وجل بمزايا وخصائص لم يعطها غيرهم حتى من الأنبياء. وقد خص الإمام الحسين (ع) بخصائص لم يحظَ بها غيره من المعصومين (ع) وإن كانوا في أعلى درجات الفضل، لكن الله تعالى أكرم الإمام الحسين (ع) بتلك الخصائص والمزايا لما قدَّم من تضحيات في سبيل الله.

من هنا نجد أن هنالك تأكيداً من أئمة أهل البيت (ع) على قضية الإمام الحسين (ع) ومن ذلك الرواية السابقة التي تذكر أن هنالك مزايا خاصة اختص الله تعالى بها الإمام الحسين (ع) ومنها أنه جعل الأئمة (ع) من ذريته، وهذه ميزة وخصيصة اختص الله تعالى بها الإمام الحسين (ع). فمن ضروريات المذهب أن الأئمة التسعة المعصومين (ع) كانوا من ولد الإمام الحسين (ع).

عن المفضل بن عمر من حديث طويل سأل فيه الإمام الصادق عن مسائل منها أنه قال: «فقلت: له يا ابن

رسول الله، فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَاهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِيدِهِ﴾ (١). قال: يعني بذلك الإمام جعلها الله في عقب الحسين إلى يوم القيامة. قال: فقلت له: يا ابن رسول الله، فكيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون ولد الحسن (ع) وهما جميعاً ولدا رسول الله (ص) وسيطاه وسيدا شباب أهل الجنة؟ فقال (ع): إن موسى وهارون كانا نبيين مرسلين أخوين، فجعل الله النبوة في صلب هارون دون صلب موسى، ولم يكن لأحد أن يقول: لم فعل الله ذلك؟ وإن الإمامة خلافة من الله عز وجل، ليس لأحد أن يقول: لم جعلها الله في صلب الحسين دون صلب الحسن؟ لأن الله هو الحكيم في أفعاله ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُوَ يُسْأَلُ لَوْنٌ﴾ (٢).

فالإمامة اختيار من الله تعالى، وهو لا يُسأل عما يفعل. وقد مثّل الإمام الصادق (ع) لذلك بمثال واضح، وهو موسى وهارون. وهنالك مثال آخر وهو إسحاق وإسماعيل أبناء النبي إبراهيم (ع) حيث جعل الله النبوة في عقب أحدهما دون الآخر. وهذه سنن إلهية ومقامات ومراتب جعلها في بعض الناس دون بعض. وكذلك نبي الله يوسف لما اختاره الله تعالى دون إخوته في النبوة.

وحاصل الأمر أن الاختيار الإلهي ليس مورداً للسؤال، فإذا اختار الله جل وعلا أحداً للنبوة أو الإمامة فهذا من شؤنه ولا يُسأل عن ذلك. إلا أن هنالك بعض الحكم التي ينص عليها المعصوم، فتتضح الصورة، ومنها هذه الظاهرة، وهي كون الأئمة (ع) من ذرية الحسين (ع) وفي عقبه دون الإمام الحسن (ع).

ومن خصائص الحسين (ع) أن الشفاء في تربته، فمن المسائل المطروحة في الفقه أكل الطين أو التراب، فهل يجوز أكله؟

الجواب: لا يجوز أكل الطين أو التراب تحت أي ظرف أو أي حال، إلا ما خرج استثناءً بالدليل، وهو تربة الإمام الحسين (ع) وهذا لا يعني أن يأكل الإنسان كمية كبيرة من التراب من أرض الحسين (ع) وإن كان لغرض الاستشفاء. فقد حدد الفقهاء المقدار الذي يؤكل بأن يكون بقدر حبة الحمصة المتوسطة، لا يزيد عن ذلك، فإن زاد عن ذلك كان مشكلاً. وهذا ما نص عليه السيد المرجع السيستاني (حفظه الله). كما خصص الموضع الذي تؤخذ منه التربة للاستشفاء، وهو أن يكون من الحائر الحسيني أو القبر الشريف أو ما قاربه، على الأحوط وجوباً.

ومما روي في هذه المسألة، ما ورد في كامل الزيارات بسنده عن عيسى بن سلمان عن محمد بن زياد عن عمته قالت: سمعت أبا عبد الله يقول: «إن في طين الحائر الذي فيه الحسين (ع) شفاء من كل داء و أماناً من كل خوف» (٣).

وعن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله (ع) قال: «لو أن مريضاً من المؤمنين يعرف حق أبي عبد الله (ع) وحرمة وولايته أخذ من طين قبره مثل رأس أنملة () كان له دواء» () .

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق (ع): «إن طين قبر الحسين (ع) مَسْكَة مباركة، من أكله من شيعتنا كانت له شفاء من كل داء» () .

وقد اشترط بعض العلماء في تحقق الشفاء بالتربة أن يقترن بالدعاء المأثور عنهم (ع) فالعلامة الطببائي في الرياض يشترط على من أراد أن يأكله استشفاءً أن يقرأ الدعاء المأثور وسورة القدر. ولعله الوحيد الذي اشترط هذا الدعاء، أما غيره فلم يجعله شرطاً ملزماً، إنما هو أمر راجح.

فعن أبي جعفر الموصلي عن الإمام الباقر (ع) أنه قال: «إذا أخذت طين قبر الحسين فقل: اللهم بحق هذه التربة، وبحق الملك الموكل بها، والملك الذي كَرَبَها، وبحق الوصي الذي هو فيها، صلّ على محمد وآل محمد، واجعل هذا الطين شفاء من كل داء وأماناً من كل خوف، فإن فعل ذلك كان حتماً شفاء من كل داء وأماناً من كل خوف» () .

ومن المسائل المتعلقة بهذا الأمر، السجود على تربة الحسين (ع) فهناك من يسافر ويريد الصلاة في المساجد المختلطة، فيأخذ معه تربة فيصلي ولا يبالي بأحد، حتى في بيت الله والمسجد النبوي، فهل هذا التعريض هو المطلوب شرعاً؟

إن المسلم يعبد الله من حيث يشاء الله تعالى، لا من حيث يشاء العبد، فمن يصلي بهذه الطريقة مع التعرض للخطر أو غيره لعل في صلاته إشكالاً شرعياً، فلا تقبل. فمن المسائل المجمع عليها في الوضوء أن من دخل في مسجد عام، فتوضأ خلاف التقية، فوضوؤه باطل. فأنت عبدٌ مأمور، ويجب أن تأتي بالعبادة كما أمر الله تعالى، لا من باب التحدي وفرض الأمور بالقوة.

وهناك بعض الطواهر السيئة التي شاهدها بعيني، بل قمت بتثبيتها، وهي أن بعض من تحضره الصلاة فلا يجد ما يصلي عليه، يعتمد إلى بعض القطع واللوحات الإعلانية على الحيطان، فيقطع منها بعض الأوراق ليصلي عليها!. فمن أجاز لك استخدام هذا القرطاس المعلق أو تخريبه؟ وماذا تريد أن يقال عن أتباع جعفر بن محمد (ع)؟ فهذا أمر حرام من جهة، ويسيء لسمعة المذهب من جهة أخرى.

هذا ما يسع الوقت الحديث عنه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.